

تفسير البحر المحيط

@ 233 @ وعمارات حراماً عليها أشد الحرص ، فكانوا أحوج شيء إلى الماء ، وكانوا مدلين بما أوتوا من هذه القوة والبطش والبأس مهيين في كل ناحية . وقيل : أراد القوة في المال ، وقيل : في النكاح . قيل : وحبس عنهم المطر ثلاث سنين ، وعقمت أرحام نسائهم . وقد انتزع الحسن بن علي رضي الله عنه من هذا ومن قوله : ويمدكم بأموال وبنين ، أن كثرة الاستغفار قد يجعله سبباً لكثرة الولد . وأجاب من سأله وأخبره أنه ذو مال ولا يولد له بالاستغفار ، فأكثر من ذلك فولد له عشر سنين . وروى أبو صالح عن ابن عباس في قوله : ويزدكم قوة إلى قوتكم ، أنه الولد وولد الولد . وقال مجاهد وابن زيد : في الجسم والبأس ، وقال الضحاك : خصباً إلى خصبكم ، وقيل : نعمة إلى نعمته الأولى عليكم ، وقيل : قوة في إيمانكم إلى قوة في أبدانكم . .

{ قَالَُوا يَا بَنِي آدَمَ * هُودٍ * مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَاتٍ * وَمَا نَرَىٰ نَحْنُ بِمُتَارِكِي آلِهَةٍ * عَنْ قَوْلِكَ * وَمَا نَرَىٰ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَرَىٰ قَوْلًا * إِلَّا ائْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ * قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ * وَاشْهِدُوا * أَنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُ نَجْمِ جَمِيعًا * ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ * رَبِّي وَرَبَّكُمْ * مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ * بِذَوَابِهَا * إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * فَإِنْ } : بينة أو بحجة واضحة تدل على صدقك ، وقد كذبوا في ذلك وبهتوه كما كذبت قريش في قولهم : { لَوْلَا أَنْزَلْنَا آيَاتَهُ * مِنْ رَبِّهِ } وقد جاءهم بآيات كثيرة ، أو لعمائمهم عن الحق وعدم نظرهم في الآيات اعتقدوا ما هو آية ليس بآية فقالوا : ما جئنا ببينة تلجئنا إلى الإيمان ، وإلا فهود وغيره من الأنبياء لهم معجزات وإن لم يعين لنا بعضها . ألا ترى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (: { مَا مِنْ * نَبِيٍّ إِلَّا * وَقَدْ * أُوتِيَ * مِنَ الْآيَاتِ مَا * مَثَلُهُ * مِنْ * عَلَيِّهِ * الْبَشَرِ } وعن في عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا ، كأنه قيل : صادقين عن قولك ، قاله الزمخشري . وقيل : عن للتعليل كقوله تعالى : { إِلَّا * عَنْ * مَوْعِدَةٍ * وَعَدَّهَا * إِيَّاهُ } فتعلق بتاركي ، كأنه قيل لقولك ، وقد أشار إلى التعليل والسبب فيها ابن عطية ، فقال : أي لا يكون قولك سبباً لتركنا ، إذ هو مجرد عن آية ، والجمله بعدها تأكيد وتقنيط له من دخولهم في دينه ، ثم نسبوا ما صدر منه من دعائهم إلى الله وإفراجه بالألوهية إلى الخبل والجنون ، وأن ذلك مما اعتراه به بعض آلهتهم لكونه سبباً وحرص على تركها ودعا

إلى ترك عبادتها ، فجعلته يتكلم مكافأة بما يتكلم به المجانين ، كما قالت فريش : معلم
مجنون { أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ } واعتراك جملة محكية بنقول ، فهي في موضع
المفعول ، ودلت على بله شديد وجهل مفرط ، حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم .
وقول هود لهم في جواب ذلك : إني أشهد □ إلى آخره ، حيث تبرأ من آلهتهم ، وحرصهم كلهم
مع انفراده وحده على كيده بما يشاؤون ، وعدم تأخره من أعظم الآيات على صدقه وثقته
بموعود ربه من النصر له ، والتأييد والعصمة من أن ينالوه بمكروه ، هذا وهم حريصون على
قتله يرمونه عن قوس واحدة . ومثله قول نوح لقومه : { ثُمَّ * افْضُواْ إِلَىَّ وَلاَ
تُنظِرُونِ } وأكد براءته من آلهتهم وشركهم ، ووقفها بما جرت عليه عادة الناس من
توثيقهم الأمر بشهادة □ وشهادة العباد . .

قال الزمخشري : (فإن قلت) : هلا قيل : إني أشهد □ وأشهدكم (قلت) : لأنَّ إشهد
□ على البراءة من الشرك إشهد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد ، وأما إشهدهم فما هو
إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب ، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما
بينهما ، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة انتهى . وإني بريء تنازع فيه أشهد واشهدوا ،
وقد يتنازع المختلفان في التعدي الاسم الذي يكون صالحاً ، لأن يعملوا فيه تقول أعطيت زيدا
ووهبت لعمرو ديناراً ، كما يتنازع اللازم والمتعدي نحو : قام وضربت زيدا . وما في ما
تشركون موصولة ، إما مصدرية ، وإما بمعنى الذي أي : بريء من إشراككم آلهة من دونه ، أو